

أقدم حربٍ للتحرير عرّفها التاريخ

بقلم : الدكتور فاضل عبدالواحد علي

كلية الآداب - بغداد

((اذا كسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر
تموز فهو نذير للملك الكوتي : سوف يسقط
الكوتيون في المعركة وتحرر البلاد))

قال بابلي

التاريخ وما زالت حقا مشروعا تمارسه الشعوب في
سبيل استعادة حقوقها وواجبا مقدسا ينبغي على اية
أمة ان تتحمل أعباءه .

ان الحديث عن أقدم حربٍ للتحرير عرفها
التاريخ يقودنا الى وادي الرافدين والى الجزء
الجنوبي منه على وجه التحديد . ففي هذه المنطقة
التي عرفت ببلاد سومر نشأت وتطورت مفاهيم
ومنجزات حضارية كانت على قسط كبير من الأهمية
في تطوير البشرية فكريا وماديا . وقد استطاع
الاستاذ كريم في كتابه ذائع الصيت والموسوم

مقدمة :

يزخر التاريخ القديم والحديث على حد سواء
باخبار حروب تكس وراءها دوافع مختلفة لايسعنا
المجال حصرها . ومهما كانت الاسباب وتعددت
الدوافع فان حروب التحرير تبقى تحتل مكانة
خاصة تميزها عن الحروب الأخرى في التاريخ ، ذلك
لان حروب التحرير انما تستمد قوتها من ايمان
الشعوب في حريتها وفي رفضها سيادة الأجنبي على
أرضها . وهي لذلك تمثل نضال الانسان في اشرف
دوافعه وأنبل صورته ، كما انها كانت منذ فجر

٢ - قائمة الملوك السومرية التي وردت فيها إشارة مهمة الى الاوضاع السياسية المرتبكة ابان الحكم الكوتي ٣ - بعض التأليف ذات الطابع الادبي التي تتحدث عن الظروف التي أحاطت انهيار الامبراطورية الاكديّة وعن الحالة السيئة التي آلت اليها البلاد بعد ذلك ٤ - وثيقة سومرية عن حرب التحرير التي خاضها الملك السومري اوتوحيكال ضد الكوتيين (ويجد القارئ نصها في نهاية هذا البحث) ٥ - اشارات في كتب التقاويم ونصوص الفأل البابلية *

ظروف البلاد السياسية قبل اندلاع الحرب :

من المعروف ان النصف الجنوبي من وادي الرافدين وهو ما يصطلح على تسميته ببلاد بابل ينقسم من الوجهة الجغرافية - التاريخية الى وحدتين هما : سومر في الجنوب وأكد الى الشمال منها * ومن المعروف أيضا عن السومريين والساميين انهم عاشوا جنبا الى جنب في هذا النصف الجنوبي من وادي الرافدين منذ أقدم العصور وانه بحكم تجاورهم وتعاصرهم فقد حدثت تفاعلات بين كثير من المفاهيم والافكار الخاصة بهذين الشعبين في مجالات عديدة مثل اللغة والكتابة والادب والمعتقدات الدينية والتشريع وفي جوانب حضارية اخرى (٢) وقد استطاع السومريون في خلال الفترة المعروفة بعصر فجر السلالات (٢٧٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م)

و التاريخ يبدأ في سومر ، (١) ، ان يثبت بالوثائق السومرية مدى الشوط الذي كان قد قطعه السومريون في المجال الحضاري ومدى السبق الذي أحرزوه في ابتداء المقومات الاساسية للحضارة . فمن خلال دراسته المستفيضة للوثائق السومرية ، استطاع الاستاذ كريم ان يبين كيف ان بلاد سومر شهدت ، على سبيل المثال لا الحصر ، أقدم المدارس التعليمية ، وأقدم ممارسة لمفهوم الديمقراطية ، وأقدم تشريع يحدد حقوق وواجبات المواطن ، وأقدم فهرست للمكتبات وأقدم وصفة طبية ... ونستطيع أن نضيف نحن الى قائمة الاستاذ كريم الطويلة فنقول ان السومريين خاضوا أقدم حرب للتحريز عرفها التاريخ مضيفين بذلك مآثرة اخرى الى ما حققه السومريون من منجزات ضربوا خلالها أروع الامثلة على الابداع والعباء *

مصادر البحث :

تتكون مصادرنا عن حرب التحرير موضوعة البحث وعن الظروف والملابسات التاريخية التي سبقتها وعاصرتها من نصوص مسمارية يمكن حصرها فيما يلي :

١ - نصوص معاصرة وخاصة تلك التي تعود الى نهاية حكم السلالة الاكديّة والتي تسلط الاضواء على الاسباب التي أدت الى انهيار هذه السلالة العظيمة تحت وطأة الغزو الكوتي *

Kramer, History Begins At Sumer, London (1958).

(٢) حول تعاصر السومريين والساميين في جنوب وادي الرافدين منذ أقدم العصور والتأثيرات المتبادلة بينهما ، يراجع كتاب المؤتمر الدولي للآشوريات بعنوان :

Sumero-Akkadean Interconnections, Recontre Assyriologique Internationale 9 (1960), Geneve.

خارجية للاطاحة بحكم الملك شاركليشاري (Shar-Kali-Sharri) وذلك في السنوات الأولى من حكمه ، اذ تحركت جيوش العلامين ودخلت الاراضي الاكدية من جهة الشرق ، وقد تصدت لها جيوش الملك الاكدي عند مدينة اكشاك (Akshak) ولعلها الموقع المعروف بتل عمر حايا) وأجبرتها على التراجع . وفي تلك الاثناء تفجر الوضع على الحدود الغربية أيضا مما اضطر شاركليشاري الى أن يخوض معركة اخرى مع قبائل المارتو (Martu) السامية التي كانت تستوطن مرتفعات جبل بشري الممتدة باتجاه ضفة الفرات اليمنى في الاراضي السورية . والحقيقة هي ان قبائل المارتو هذه كانت تشكل دائما خطرا كبيرا على المدن السومرية والاكدية ولذلك فقد كان الملوك السومريون والاكديون والبابليون من بعدهم مضطرين الى شن الحروب على قبائل المارتو . وقد قدر لهذه القبائل فيما بعد ان تلعب دورا مباشرا واساسيا في اسقاط واحدة من أعظم السلالات السومرية التي عرفها التاريخ تلك هي سلالة اور الثالثة (٤) .

على أن الخطر الاكبر الذي لاقته الامبراطورية في زمن الملك شاركليشاري جاء من جهة الشمال والشمال الشرقي أي من جبال زاكروس . اذ من

أن يقيموا دويلات مدن قوية كان من أبرز عواصمها كيش ، الوركاء ، أور ، لكش واوما . واستطاع امراء وملوك بعض هذه السلالات من أن يمدوا نفوذهم الى مناطق واسعة خارج بلاد سومر فوصلوا الى عيلام في ايران والى جبال الارز في لبنان . على ان الفضل في توحيد البلاد وفي اقامة أول امبراطورية في وادي الرافدين يعود من دون شك الى سرجون الاكدي (٢٣٧١ - ٢٢١٦ ق م) الذي كان حكمه فاتحة عصر زاهر قطعت فيه البلاد شوطاً بعيداً في التقدم في الميادين الادارية والتجارية والعسكرية .

خلف المؤسس سرجون في الحكم عدد من الملوك الاقوياء ممن اتبعوا سياسته في تطوير النظام الاداري والاقتصادي وفي توسيع قواعد الامبراطورية . وكان من أشهر اولئك نرام - سن ، الملك الرابع (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) الذي مد نفوذه الى أرجاء بعيدة من الشرق الاذننى القديم والذي تركت شخصيته أثراً بارزاً في التراث الاكدي . وبعد ان حكم نرام - سن ستة وثلاثين عاما خلفه ابنه شاركليشاري الذي قدر لعهدده أن يكون حافلا بأحداث كانت على جانب كبير من الاهمية والخطورة بالنسبة للامبراطورية الاكدية .

تشير الوثائق المسمارية الى ان الامبراطورية الاكدية بدأت تتعرض الى ضغوط عسكرية

Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babylonien, Wiesbaden (1957), pp. 30-49. Kupper, Les nomades en Mesopotamie, (1957), pp. 149 ff.

أما بخصوص دورهم في اسقاط سلالة اور الثالثة كما يتضح ذلك في المراسلات الرسمية للملك ابي - سن وحكام مدنه ، فيراجع بحث الكاتب الموسوم : "Two Collections of Letters", Archiv Orientalni, 33 (1965), pp. 520-540.

(٣) يجد القارئ تفاصيل وافية في ضوء آخر البحوث المسمارية والاثريية عن الامبراطورية الاكدية منذ نشأتها وحتى الغزو الكوتي في فصل للاستاذ Gadd في :

Cambridge Ancient History (third edition), pp. 417-461.

(٤) حول قبائل المارتو ، أي البدو الامورين في النصوص المسمارية التاريخية والادبية ، يراجع:

تسببت في تدمير العاصمة أكد تدميرا كاملا وفي احتلال المدن الرئيسية • وكانت السنين الثلاثة الاولى من الاحتلال الكوتي (٢٢٢٩-٢٢٢٧ ق م) تمثل فوضى سياسية بكل ما في هذه الكلمة من معنى • ونستطيع القول في ضوء الأدلة التاريخية ان الكوتين لم يستطيعوا بصورة عامة ، على الرغم من انتصارهم العسكري ، من ترسيخ نفوذهم والهيمنة على البلاد • كما يظهر ان حكمهم كان متركزا في مدن أكد شمالا اكثر مما هو في المدن السومرية الى الجنوب • ويمكن القول ايضا ان الكوتين ، وهم قبائل غير متحضرة لم تألف او تمارس نظاما متطورا للحكم ولم يكن يهمهم تنظيم واحكام سيطرتهم السياسية على البلاد بقدر ما كان يهمهم جباية ونهب خيراتها •

ان هذه الحقائق هي التي تفسر ظهور عدد من الملوك الاكديين في الميدان السياسي مجددا • ولان شك في ان هؤلاء كانوا تحت وصاية الحكم الكوتي غير انه مما يلفت النظر حقا ان بعضا من هؤلاء الملوك مثل شدرول (Shudrul) قد حكم فترة طويلة (٢٢٠٥-٢١٩١ ق م) وانه تمكن من ان يمد نفوذه الى منطقة أشنونا^(٧) •

اما الى الجنوب فيظهر ان وطأة الحكم الكوتي كانت اخف نسبيا ، مما سمح بدوره الى ظهور سلالات

المعروف ان الملوك الاكديين وجدوا انفسهم مضطرين الى شن حروب رادعة ضد القبائل التي كانت تستوطن هذه المناطق مما استنزف بالطبع قسما كبيرا من قوة الامبراطورية وخاصة في حربها مع قبائل لولوبو • وبالإضافة الى هؤلاء فقد كان الكوتيون ، وهم من القبائل التي سكنت في تلك المرتفعات ايضا ، يتحينون الفرصة للإطاحة بالامبراطورية الاكدية ولهذا جرد الملوك الاكديون حملات عسكرية ضدهم في مناسبات عديدة • وفي وسط كل الاضطرابات ، في الغرب وفي الشمال والشمال الشرقي من الامبراطورية جاءت نهاية الملك شار كليشاري في ثورة حدثت ضده في قصره ، وذلك في حدود عام ٢٢٣٠ ق م بعد حكم دام خمسة وعشرين سنة^(٥) •

الكوتيون في الحكم :

لقد انتهز الكوتيون ارتباك الاوضاع في العاصمة أكد فقاموا بهجوم عنيف على المدن الاكدية فاكسحوها وكانت العاصمة أكد من ضمنها دون ان نعرف لحد الان اية معلومات عن الملابس والظروف التي أحاطت بالجيش الاكدي ولا عن حجم المقاومة التي أبداهها ضد القبائل الغازية^(٦) •

ومن الواضح ان الصدمة التي نتجت عن الغزو الكوتي كانت عنيفة وخاصة في مراحلها الاولى والتي

Speiser, "Some Factors in the Collapse of Akkad", Journal of American Oriental Society, Vol. 62 (1952), pp. 97-101.

ثم انظر الحاشية (١٤) حول التفسير الديني للقائل بأن سقوط أكد كان بسبب لعنة الآلهة •

(٧) حول مزيد من التفاصيل ، راجع الصفحة

(٤٥٧) في المرجع المشار اليه في الحاشية (٣) •

(٥) يذكر احد نصوص الفال البابلية عن الملك شاركليشاري أن خدم قصره قتلوه ضربا برقم الطين ، انظر :

Goetze, "Historical Allusions in Old Babylonian Omen Texts", Journal of Cuneiform Studies, Vol. 1 (1947) pp. 253 ff.

(٦) يراجع بشأن الاسباب التي ادت الى سقوط

الامبراطورية الاكدية :

الحضارية حتى اننا نجد ان بعض ملوكهم المتأخرين يتسمون باسماء سامية كما انهم تأثروا بالمعتقدات الدينية التي كانت سائدة بين السومريين والاكديين .

تعسف الكوتيين وارتباك الاوضاع :

تعتبر فترة حكم الكوتيين من الوجة التاريخية من أولى الفترات المظلمة في وادي الرافدين . فهي فترة تتميز بندرة واضحة في الكتابات التاريخية وبغموض يكتنف الاوضاع السياسية ، وأهم من هذا وذاك فانها فترة توقفت فيها عجلة التقدم الحضاري لفترة قرن من الزمن في المجالات الحضارية : المعمارية والفنية والفكرية . ومما تجدر ملاحظته عن هذه الفترة انه لم يصلنا من الملوك الكوتيين انفسهم شيئاً يستحق الذكر ، كما ان المصادر السامرية المتوفرة من المدن السومرية التي عاصرت حكمهم تغفل ذكرهم بشكل واضح^(١٠) مما يدل على كراهية سكان البلاد لهم وان طمس او اغفال اخبار الغزاة المحتلين من

محلية سومرية مثل السلالة الرابعة في مدينة الوركاء والسلالة الثانية في مدينة لكش . ويتضح من الوثائق السومرية التي تعود الى زمن أمراء سلالة لكش الثانية ، وخاصة تلك التي ترجع الى الامير كوديا (Gudea في حدود ٢١٢٥ ق م) ، ان الامراء السومريين استطاعوا على الرغم من الوجود الكوتي ان يقوموا بالاعمال العمرانية وان ينجزوا الحملات التجارية^(٨) وحتى العسكرية^(٩) الى خارج بلاد سومر .

ولقد استطاع الكوتيون التمسك بالحكم في وادي الرافدين مدة طويلة نسبياً تقرب من قرن من الزمن (٢٢١١-٢١٢٠ ق م) تعاقب خلالها على الحكم واحد وعشرون ملكاً لانعرف عن معظمهم سوى الاسماء . ومن المعروف عن الكوتيين انهم كانوا حضارياً أوطأ بكثير من البلاد التي احتلوها . ولذلك فانهم كانوا دائماً تحت تأثيرات مقوماتها

(١٠) اذا استثنينا وثيقة الملك اوتو حيكال الذي قام بمحاربة الكوتيين فان الاشارة الوحيدة اليهم في نصوص حكام دويلات المدن التي عاصرتهم جاءت من زمن نمحاني (Namhani) أحد أمراء سلالة لكش الثانية . اذ أن هذا الامير أرخ أحد نصوصه الكتابية باسم أحد ملوك الكوتيين وهو يارلكان (Yarligan) . وقد استنتج الاستاذ كريمر (The Sumerian, p. 67) من ذلك

بأن نمحاني ينبغي أن يكون خائناً متواطئاً مع الكوتيين . وعلى الرغم من أنه ليس لدينا دليلاً أكيداً على ذلك فإن أفراد نمحاني عن غيره من الامراء الذين عاصروا حكم الملوك الكوتيين أمر يلفت نظر الباحث ويدعو الى التساؤل ، ذلك لانه من المتعارف عليه في وادي الرافدين أن حكام وأمراء المدن اذا ما أرخو باسم الملك فإن ذلك يعني الاعتراف الصريح بسلطته وبالتبعية له .

(٨) تدل العمليات التجارية التي يذكرها كوديا في كتاباته على قسط كبير من الاستقلال الذاتي . فمن اجل بناء معبد الاله نكرسو في مدينة لكش يقول كوديا أنه جلب الصناع والفنيين من عيلام ، وجلب الحجر واللازورد من مكان (Magan) وملوخا (Melukha) والبرونز من كيماش (Kimash) انظر على سبيل المثال العمود الرابع عشر من الاسطوانة لكوديا : B

Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, Zurich (1953), p. 179.

(٩) أن الحملة العسكرية الوحيدة التي ذكرها كوديا في كتاباته كانت ضد مدينة انشان في عيلام . وقد جاء ذكرها في نص مدون على تمثاله (العمود السادس ، السطر الرابع والستين) المحفوظ في متحف اللوفر .

ويخربون المزارع من دون ان يستطيع أحد ان يقول كلمة لهم على حد تعبير الرسالة • فيها هو رجل اسمه اشكون - دكان (Ishkun-Dagan) يقول في رسالة بعث بها الى رجل يدعى لوكال - را (Lugal-ra) :-

«من اشكون - دكان الى لوكال - را : احرت حقلك واحرس ما شتيك • وقبل كل شيء لاتقل لي ان الكوتين من حولي وانني لا استطيع حرث الحقل ••• واذا ما حاول الكوتيون الهجوم عليك فاجلب كل الماشية الى المدينة (لانه) عندما أخذ رجال من الكوتين الماشية (مني) في السابق فاني لم استطع ان انطق بكلمة واحدة • لقد كنت أعطيك فضة دائما (مقابل الاضرار) • غير انني الان اقسم بحياة الملك شاركليشاري انه اذا ما اخذ رجال من الكوتين الماشية ولم تستطع ان تدفع لي من جييك الخاص ، فاني لن أدفع لك فضة عندما آتي الى المدينة • والان أرجوك ان تحرس الماشية •••» (١٢) •

دلائل أثرية وكتابية أخرى :

وتشير الدلائل الاثرية ايضا الى ان الكوتين كانوا يخربون المدن وينهبون ثرواتها وحتى ان بعض المعابد لم تسلم من أيديهم مثل معبد الالهة عشتار في العاصمة آشور (١٣) •

وتعكس الفوضى التي عمت البلاد من جراء الغزو الكوتي في تأليف سومري ادبي يذكر وحشيتهم وكيف انهم احتلوا البلاد باعداد كبير وكأنهم جراد وكيف ان بطشهم لم يسلم منه أحد

جانب المؤرخين المعاصرين لهم في البلاد المحتلة كان ايضا ظاهرة واضحة في وادي النيل بالنسبة للمحتلين الهكسوس •

ولكن وعلى الرغم من الندرة الواضحة فسي المصادر عن الكوتين فان هناك اشارات في بعض النصوص المسمارية واغلبها مكتوب بالسومرية والتي يتمكن المؤرخ المعاصر من خلالها اعطاء صورة عامة عن الاوضاع في العراق القديم خلال الحكم الكوتي • فيظهر اولاً ان الانهيار المفاجيء للامبراطورية الاكدية على يد قبائل غير متحضرة لم تمارس من قبل نظاما متطورا للحكم قد أدى ، وخاصة في مراحل الغزو الاولى ، الى فوضى سياسية وارتباك في السلطة لم تشهدله بلاد سومر واكد مثلاً في تاريخها • ولعل خير ما يستشهد به هنا العبارة المأثورة والساخرة لاحسد المؤرخين القدامى من وادي الرافدين التي قيل فيها عن هذه الفترة بالذات :-

« (ترى) من كان ملكا وان لم يكن ملكا ؟

هل كان ايكيكي (Igigi) ملكا ؟

هل كان نانوم (Nanum) ملكا ؟

هل كان ايمي (Imi) ملكا ؟» (١١)

انعكاس ترددي الاوضاع في المراسلات الخاصة :

ونقرأ في رسالة تعود الى زمن الملك شاركليشاري ، أي الى الفترة التي سبقت سقوط الامبراطورية الاكدية مباشرة ، ان الكوتين كانوا يهجمون على الحقول وينهبون ماشية الفلاحين

Mesopotamia, Chicago (1967), p. 71-72.

Cambridge Ancient History, (١٣)
(third edition 1964), p. 457

Jacobsen, The Sumerian (١١)
King List, Chicago (1939), pp. 113-115.
Oppenheim, Letters from (١٢)

وعلى الطرقات أقيم اللصوص ،
وفي مداخل بوابات البلاد أصبحت الابواب
مغطاة بالتراب •

واطلقت كل البلاد صرخة حزن من
اسوارها ••• (١٤)

حرب التحرير :

لم تكن سلالة لكش الثانية التي عاصرت حكم
الكوتيين من القوة بحيث تستطيع إعادة توحيد البلاد
وشن حرب لتحرير وعلى الرغم مما أظهره بعض
امرائها من امكانيات في الميدان الحضاري والتجاري
وحتى العسكري ، فقد بقيت الحال في سومر وأكد
على النحو الذي جئنا على تفصيله الى حدود سنة
٢١٢٥ ق م • وهي السنة التي ظهر فيها زعيم
سومري في مدينة الوركاء اسمه اوتو - حيكال
(Utuhegal) الذي قدر له ان يضيف مأثرة جديدة
ومجدا خالدا الى مآثر وامجاد ملوك هذه المدينة ممن
سبقوه من امثال انميركار (Enmerkar) ولو كالبندا
(Lugalbanda) وكلكامش (Gilgamesh)
لا نعرف في الوقت الحاضر شيئا عن الظروف
التي ساعدت ومهدت الطريق لهذا الزعيم السومري
على تسلم مقاليد الحكم في مدينة الوركاء • ولنا ان

وانهم عطلوا المواصلات على الطرق والملاحة في
الانهر واخذوا الاغنام والماشية من حظائرها ووضعوا
الرقباء وقطاع الطرق في انحاء البلاد ••• :-

«شعب لا يخضع وبلاد (شعبها لا يحصى) ،
بلاد الكوتيين ، البلاد التي لا يكبح جماحها
البلاد التي وعيها (?) انساني والتي •••••
(هؤلاء) جاء بهم انليل من الجبال
وباعداد ضخمة فغطوا الارض كالجراد •
وامتدت أيديهم اليه (شعب سومر؟) في السهل
كانها مصيدة للبهائم (?)

فلم يفلت من يدهم شيء
ولم يهرب من يدهم احد •
فلم يعد الرسول يسير على الطريق
ولم يعد الملاح يمزق بقاربه النهر
وال ••• ما عز الاله انليل التي افلتت من
حظائرها

جعلها راعيهم (الكوتيون) تتبعه ،
والابقار التي افلتت من حظائرها
جعلها راعيهم تتبعه ،
وعلى الاشجار (?) على ضفاف النهر وضع
الرقباء •

نظر الشاعر السومري ، الى سخط وغضب الالهة
كلها التي اجمعت على انزال اللعنة على العاصمة
الاكدية ، ويقول الشاعر السومري ان حكم الالهة
قد تحقق بالفعل • وبتعبير آخر فان سقوط العاصمة
أكد وأقول مجددا انما يعزى ، الى غضب الالهة ،
وهو تفسير كثيرا ما يجده الباحث في النصوص
الادبية لوقائع تاريخية لم يكن للالهة السومرية يد
فيها بالطبع ، انظر :

Kramer, "The Curse of Agade",
Ancient Near Eastern Texts (Third
edition 1969), pp. 646-651.

(١٤) أن المقطع الذي اقتبسناه في اعلاه هو في
الواقع جزء من قصيدة سومرية تعارف الباحثون
على تسميتها ب (لعنة أكد) وتحمل القصيدة في
أبياتها حقدا عميقا على نرام - سن ، رابع ملوك
السلالة الاكدية الذي جوزت له نفسه ، بموجب هذه
القصيدة ، أن يقدم على تخريب معبد الاله انليل في
مدينة نمر والتي تعتبر من أشهر المراكز الدينية
السومرية • وتصف القصيدة كيف أن الملك الاكدي
اطلق العنان لجنوده الذين دخلوا المعبد وانتهكوا
حرمة وهدموه بالفؤس • وكان ذلك مدعاة ، من وجهة

أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ

عهد اليه مهمة تحطيم الكوتين • ومن الطبيعي ان تكون الكراهية شديدة ضد الكوتين من جانب سكان بلاد سومر فهم اجانب يحتلون البلاد بالقوة • وقد انعكست هذه الكراهية بشكل واضح في نص اوتوحيكال عندما يصف الفرد الكوتي بانه : -

«أفعى وعقرب الجبال ، الذى رفع يده ضد الالهة ، الذى نقل ملوكية سومر الى بلاد أجنبية ، الذى ملأ سومر بالعداوة فابعد الزوجة عمن كان له زوجة وابعد الطفل عمن كان له طفل والذى اشاع العداوة والعصيان في البلاد»

بعد ذلك ينتقل اوتوحيكال الى الحديث عن الاستعدادات للمعركة مع الكوتين فيذكر في مقدمة ذلك انه ذهب الى معبد الالهة انا (Inanna) في مدينة الوركاء يسألها العون والنصر على خصمه باعتبارها الهة الحرب والتي وصفها بـ « لبوة المعركة التي تهاجم بلدان الاعداء » • بعد ذلك استنفر (١٥) اوتوحيكال رجال مدينة الوركاء ومدينة كولا ب فاستجابوا له «مستبشرين وتبعوه وكانهم رجل واحد» على حد تعبير النص •

وكان القائد السومري يتوقف في طريقه الى المعركة ليقدم الصلوات الى الالهة في معابدها • ويذكر النص ان جيوش اوتوحيكال وصلت بعد اربعة ايام من مسيرتها من الوركاء الى موضع يعرف باسم نكسو (Nagsu) الذى يقع على نهر يسمى اتورنكال (Iturungal) •

نترض من دون شك ان سوء الاوضاع السياسية المتمثل بحكم الاجانب الكوتين كان عاملا محفزا ومساعد على تكوين جبهة داخلية قوية من المدن السومرية وعلى قيادتها الى النصر الخالد كما سنرى بعد قليل • واذا استئينا الاشارات الواردة عن اوتوحيكال في قائمة الملوك السومريين وفي بعض التاليف السومرية المتأخرة ، فان من اهم الكتابات التي وصلتنا عن هذا الملك السومري وثيقة سومرية تتضمن تفاصيل حرب التحرير التي قادها هذا الملك ضد الكوتين • وتعتبر هذه الوثيقة أقدم النصوص الكتابية عن اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ حتى الان •

فهي تسبق حرب التحرير التي شنها ملوك السلالتين السابعة عشر والثامنة عشر في مصر ضد الهكسوس بما يقرب من خمسة قرون ونصف القرن •

دراسة تحليلية لتفاصيل وثيقة الحرب :

يظهر لنا من دراسة الوثيقة ان القائد السومري اوتوحيكال استطاع في مراحل الغزو الاولى أن يستجمع من حوله رجال مدينة الوركاء وضواحيها مدينة كولا ب (Kullab) ويذهب الملك السومري ، شأنه في ذلك شأن معظم الامراء والملوك في وادي الرافدين في تبرير منجزاتهم العسكرية، الى ان الاله انليل ، وهو اله السلطة الملوكية ، قد

البوق فيهب اليه رجال مدينته هبة رجل واحد •
انظر مقالة الكاتب عن « نفخ البوق للاعلام الرسمي » ،
مجلة سومر ، المجلد ٢٠ (١٩٦٤) ص ٦٦ - ٦٨
(القسم الانكليزي) •

(١٥) من المفيد أن نذكر بأن هناك نصا سومريا يستنتج منه أن استنفار أهل المدينة في حالات الطوارئ كالحرب مثلا كان يتم بنفخ البوق • فقد ذكر عن ككامش ، ملك الوركاء «أنه كما ينفخ

ويجد الباحث ان هناك ثلاث قراءات مختلفة لاسم هذه المدينة في الدراسات والترجمات المتعلقة بوثيقة اوتوحيكال موضوعة البحث ، وهذا الاختلاف ناتج عن ان اسم المدينة التي وصلتها جيوش اوتوحيكال في اليوم السادس تكتب بالعلامة المسمارية IM . وينبغي ان نلاحظ بان هذه العلامة تستخدم في الواقع في كتابة اسماء ثلاث مدن سومرية مختلفة هي :

مورو (Muru) و اينيكى (Ennigi) و كاركار (Karkar) . ولما كان اوتوحيكال يذكر مباشرة بعد اسم هذه المدينة اسم الاله اشكور (Ishkur) وتقديم اصلوات له فيكون من المؤكد اذا ان يقرأ اسم المدينة هنا «كاركار» حيث عرفت هذه المدينة بكونها مركزا لعبادة هذا الاله في معبده المسمى اي - كاركار - را (é-harhar-ra)

ولهذا ينبغي ان تستبعد القرائتين مورو الواردة في ترجمة الاستاذ Kraner^(١٨) واينيكى في دراسة الاستاذ Gadd^(١٩) على التوالي .

واذا كنا نجهل كلياً موقع مدينة كاركار ، والتي ربما لم تكن تبعد عن مدينة الوركاء اكثر من ١٠٠ - ١٢٠ كيلو مترا (اذا افترضنا ان مسيرة الجيش يوميا كانت في حدود ٢٠ كيلومترا) فيبدو جليا ان المدينة كانت ذات موقع عسكري مهم بالنسبة للكوتيين اذ

وقد دلت المسوحات الاثرية التي اجريت في منطقة سومر^(١٦) ، على ان هذا النهر كان الفرع الشرقي من نهر الفرات القديم وانه كان يمر بمدينة ادب ثم اوما ومن ثم يتجه بعد ذلك نحو الجنوب الى بادتيبرا ثم ينحرف غربا الى مدينة لارسا . وكان يتفرع من نهر اتورنكال فرع الى الشمال من اوما فيمر في مدن سومرية رئيسة مثل زبالم ، كيرسو ، لكش ونا . والحقيقة اننا لا نعرف في الوقت الحاضر شيئا مؤكدا عن مدينة نكسو ولكن اذا ما صح الافتراض القائل بان تل الناصرية الحالي من الجائز ان يكون مدينة نكسو القديمة^(١٧) فمعنى ذلك ان الجيوش السومرية الزاحفة كان لابد وان عبرت نهر اتورنكال لتصل الى هذه المدينة الواقعة على الضفة الشرقية منه .

وبعد يوم من ذلك اي في اليوم الخامس بدأ اول احتكاك بين طلائع الجيش السومري والجيش الكوتي الذي كان بقيادة الملك تريكان (Tirigan) . وعن ذلك يقول الملك اوتوحيكال انه وصل في اليوم الخامس الى معبد ايليتبا (Iltabba) وان جيوشه أسرت ضابطيين هما اور - نآزو و نابو - انليل . وبعد ذلك بيوم واحد من مغادرتها ايليتبا وصلت جيوش الملك السومري الى موضع يعرف كاركار (Karkar)

(١٨) The Sumerian, p. 326.

(١٩) Cambridge Ancient History (third edition), p. 462.

حول مزيد من التفاصيل بخصوص كتابة اسم هذه المدن الثلاثة انظر :

Sjöberg and Bergman, The Collection of the Sumerian Temple Hymns, Chicago, (1967), p. 119:350, p. 99:238.

(١٦) Jasobsen, "The Girsu Reg- ion", Sumer XXV (1969), pp. 103-109.

(١٧) حول موقع هذه المدينة والمدن الأخرى (ايلتبا) و (كاركار) و (دبروم) التي يرد ذكرها في وثيقة اوتوحيكال راجع الان :

Robert Adams and Hans Nisseu. The Uruk Countryside, Chicago (1972), pp. 50-54.

كما انهم سرعان ما القوا القبض عليه مع افراد عائلته وسلموه الى رسل الملك السومري اوتوحيكال •
ولقد كان انتصار السومريين على الكوتيين
وتحرير البلاد منهم حدثا عظيما بالنسبة للسومريين
انفسهم حتى انهم أرخوا به الحوادث • اذ نقرأ في
احد كتب التقاويم البابلية ما نصه :- «اذ كسف القمر
في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فهو نذير للملك
الكوتي : سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتحرر
البلاد»^(٢٠) •

عند هذه المدينة جرت المعركة الحاسمة بين قوات
السومريين بقيادة اوتوحيكال وقوات الكوتيين بقيادة
تريكان • ويظهر من الوثيقة موضوعة البحث ان
السومريين أحرزوا نصرا حاسما في المعركة مما
اضطر الملك الكوتي الى الفرار والالتجاء الى مدينة
دبروم (Dubrum) التي ربما كانت تل جدر
حاليا الذي يقع الى الشمال الشرقي من مدينة اوما
(جوخا) • ويتضح من وثيقة اوتوحيكال ان أهالي
هذه المدينة السومرية كانوا على قدر كبير من الروح
الوطنية اذ انهم لم يقدموا اي عون الى الملك الكوتي ،

نص الوثيقة السومرية عن حرب

اوتوحيكال مع الكوتيين (٢١)

البلدان الاجنبية لقد فوضي الاله انليل ان استرجع
ملوكية سومر فكوني حايفتي (في ذلك) ان تريكان
(Tirigan) ملك الكوتيين ••• لم يزحف أحد
ضده فاستولى على دجلة وساحل البحر واطبقوا على
الحقول في أدنى البلاد واطبقوا على الطرق في أعلى
البلاد •

(ولذلك) زحف اوتوحيكال الملك الذي منحه
انليل القوة والذي اختارته انا الى قلبها ، الرجل
العظيم ، الى المعركة من الوركاء ضد (تريكان) •
ولما وصل^(٢٢) الى معبد الاله اشكور (Ishkur)

فوض الاله انليل ملك البلدان ، الرجل العظيم
اوتوحيكال ملك الوركاء ، ملك جهات (العالم)
الاربع ، الملك الذي لا يستطيع احد مخالفة امره ان
يحطم اسم «الكوتي» أفعى وعقرب الجبال الذي رفع
يده ضد الالهة ، الذي نقل ملوكية سومر الى بلاد
أجنبية ، الذي ملأ بلاد سومر بالعداوة ، الذي أبعده
الزوجة عن كان له زوجة ، الذي ابعده الطفل عن
كان له طفل واقام العداوة والعصيان في البلاد •
(آنذاك) ذهب (اوتوحيكال) الى ملكته انا ودعاها
قائلا يا ملكتي ! يا لبوة الحرب التي تهاجم كل

Kramer في كتابه

The Sumerians, Chicago (1963), p. 325-326.

(٢٢) نختلف هنا وفي الاسطر المقابلة مع
الاستاذ كريمر (انظر الحاشية السابقة) في ترجمة
الفعل giš ... Dù فهو يقترح له
معنى « قرب اي قدم قربانا » في حين تبدو ترجمته
بمعنى « وصل » اكثر ملائمة لسياق النص •

(٢٠) Cösman, "Planeterium Baby Ionicum", in Sumerisches Lexicon IV part 2, Rome (1950), p. 169.

(٢١) حول النص السومري لهذه الوثيقة

وترجمتها انظر :

Gadd, A Sumerian Reading-Book, London (1924), pp. 65-73.

كما يجد القارئ ترجمة حديثة للنص للاستاذ

اشكور ! لقد أعطاني الاله انليل السلاح فكن عوني
(في المهمة) •

وفي تلك الليلة نفسها ... ذهب الى الاله اوتو
ودعاه قائلا : ايها الاله اوتو ! لقد اعطاني الاله
انليل (مهمة) الكوتيين فكن عوني (في المهمة) •

وكان الكوتيون قد جمعوا (?) قواتهم (?) في
ذلك المكان وارسلوا قوات ضده • غير ان اوتوحيكال
الرجل العظيم تمكن من دحرهم وأسر قائدهم ،
وعندئذ فر تريكان وانتجأ (?) الى مدينة دبروم
(Dabrum) • ولكن لما عرف رجال دبروم ان
اوتوحيكال كان الملك الذي منحه الاله انليل القوة ،
فانهم لم يطلقوا سراح تريكان • (وجاء) مبعوثو
اوتوحيكال والقوا القبض على تريكان وعائلته في
دبروم ووضعوا يديه في قيد وشدوا (?) عينه (?) •
(ولما) جلب تريكان امام اوتوحيكال القى بنفسه عند
قدميه • فوضع (اوتوحيكال) قدمه على رقبته • ثم
... و ... الكوتي عقرب وأفعى الجبال، طرده...
من أرضها (وبذلك) أعاد الملوكية الى سومر •

قال مخاطبا (رجال) مدينته :- لقد اعطاني انليل
(مهمة) الكوتيين وجعلت انا ملكتي وعوني مصري
بعمدة الاله دموزي ، اما - اشمكل - انا
(Ana-Ushumgal-Anna) (٢٣) ، وجعلت لي
كلكامش ابن الالهة نسون (Ninsun) «مشكيم»
(Mashkim) (٢٤) •

وتملك الفرخ أهالي مدينة الوركاء واهالي
مدينة كولاب (Kullab) وتبعه رجال مدينته
وكانهم رجل واحد وقد الجيش زاحفا (?) الى الامام
وفي اليوم الخامس (من مسيرته) وصل معبد ايلي -
تبا (Ili-tabba) • والقى القبض على اور -
ننازو (Ur-Ninazu) ونابو - انليل
(Nabu-Enlil) الضابطين (?) عند تريكان واللذين
ارسلهما الى سومر بصفة مبعوثين ثم وضع ايديهما
في قيد •
وبعد ان خرج (اوتوحيكال) من معبد ايلي - تبا
وصل في اليوم السادس الى كاركار (Karkar)
ثم وقف أمام الاله اشكور ودعاه قائلا : ايها الاله

والثاني : شيطان أو عفريت • لما كان اوتوحيكال
يقصد من قوله أن الآلهة انا قد حشدت له القوى
المساعدة متمثلة بالاله دموزي وبالبطال كلكامش
فالارجح لذلك أن يكون المقصود من الكلمة هنا معناها
الثاني كرمز للقوة الخارقة •

(٢٣) احد القاب الاله دموزي (تموز) ويبدو
أنه يعني حرفيا « الأم - تنين - السماء » •

(٢٤) تفيد هذه الكلمة في السومرية معنيين
بصورة رئيسة ، الاول : رقيب مالي لجباية الضرائب ،

